

دراسة وصفية لأساليب المعاملة الوالدية لدى الأحداث ذوي السلوك الانحرافي

A Descriptive Study of Parenting Styles Among Juvenile Delinquents

سعاد نوي^{1*}، علي تعوينات²

¹ مخبر التربية والصحة النفسية، جامعة الجزائر 02 (الجزائر)، souad.noui@univ-alger2.dz

² مخبر التربية والصحة النفسية، جامعة الجزائر 02 (الجزائر)، pr.taouinet.ali@gmail.com

تاريخ النشر: 2025-09-30

تاريخ القبول: 2025-09-30

تاريخ الاستلام: 2025-07-30

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى وصف وتحليل أساليب المعاملة الوالدية لدى الأحداث ذوي السلوك الانحرافي ببعديها أي أساليب المعاملة الوالدية الحسنة وأساليب المعاملة الوالدية السيئة، تم استخدام المنهج العيادي، وشملت العينة مجموعة من تسعة أحداث مودعين في مركز إعادة تربية الأحداث بالجزائر العاصمة (الابيار)، تراوحت أعمارهم بين (8 و12) سنة، اعتمدنا على أداة دراسة الحالة (تاريخ الحالة) ودليل مقابلة نصف موجهة تقيس أساليب المعاملة الوالدية.

أظهرت النتائج أن أساليب المعاملة الوالدية السيئة كانت الأكثر حضوراً في تعامل الأولياء مع أبنائهم الذين أقدموا على سلوك انحرافي، في حين كان لأساليب المعاملة الوالدية الحسنة الممارسة من الأولياء مع أبنائهم تأثيراً بالغا في حمايتهم من السلوك الانحرافي على الرغم من تواجدهم في مركز إعادة تربية الأحداث؛ هذه المعطيات تؤكد أهمية الأسرة كعامل مؤثر في تشكل الانحراف، وتبرز الحاجة إلى تدخلات تربوية موجهة نحو تحسين الممارسات الوالدية اتجاه أبنائهم

الكلمات المفتاحية: أساليب المعاملة الوالدية؛ الأحداث؛ السلوك الانحرافي.

Abstract: This study aims to describe and analyze parental treatment styles among juvenile delinquents, focusing on tow dimensions : positive and negative parental practices ,The clinical method was applied, The sample consisted of nine juveniles placed at the Juvenile Rehabilitation Center in Algiers (ElBiar), aged between 8 and 12 years old, Data collection relied on the case study method (case history) and semi-sructured interview guide designed to assess parental treatment styles, Findings showed that negative parental practices were more prevalent in the upbringing of juveniles who engaged in delinquent behavior, In contrast, positive parental treatment, when present, had a significant protective effect against delinquency, despite the juveniles' placement in a rehabilitation center; These results highlight the family's critical role in the development of deviant behavior and the urgent need for educational interventions aimed at improving parenting practices.

Keywords: Parental treatment styles; Juveniles; Delinquent behavior.

1- مقدمة

تعد الأسرة هي النواة الأولى التي يتشبع منها الطفل كل حاجاته، بدء بالبيولوجية والعاطفية الوجدانية التي تدعم نموه النفسي والمعرفي وتسمح له بالاستمرار في ذلك النمو ليصبح كائنا اجتماعيا متشربا لمختلف المعايير السلوكية والاجتماعية والثقافية التي تسمح له بالتوافق مع نفسه ومع بيئته، فمتى ما نجحت الأسرة في دورها التربوي منحت أفرادا أسوياء، متكيفين نفسيا واجتماعيا وذلك عندما تقوم بوظائفها المنوطة بها والمتمثلة مجملًا في: الإنجاب والتفاعل الوجداني بين أفراد الأسرة، توفير الحماية الجسدية لهم، إعطاء مكانة اجتماعية للكبار والصغار، التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي.

فالتنشئة الاجتماعية حسب الداهري (2008) هي أكبر الانجازات ويؤدي الفشل فيها إلى أن يعيش الأفراد حياة تعيسة فيها شقاء مستمر، إنهم يعانون من سوء التوافق، ويضعون عراقيل في طريق غيرهم، وبسبب الإخفاق في تنشئة بعض الأفراد نجدهم عرضة لأن يصابوا بالذهان أو يدمنوا الكحول أو إدمان المخدرات، وربما سقطوا في الجنوح أو الجنسية المثلية، ولهذا فجناس الأحداث خاصة والجريمة عامة أصبح من لآفات التي تفكر دول العالم كله في إيجاد الوسائل والآليات الفعالة من أجل محاربته فالانحراف ليس مشكلة الطب لوحده أو القانون أو علم الاجتماع أو علم النفس أو حتى الأنثروبولوجيا بل هو ظاهرة تستدعي تضافر كل التخصصات بإسهاماتها من أجل رسم سياسة دفاع اجتماعي وذلك بالوقوف على أسباب الظاهرة التي تمدنا بها المعرفة العلمية، وما دام العلم يقر بمبدأ السببية في حدوث أي ظاهرة نتوقع أن انحراف الأحداث ينمو في ظروف معينة أهمها الحرمان سواء العاطفي أو المادي وكذلك الفقر التربوي، ولهذا نعتبر أن التفاعلات غير الصحية داخل الأسرة من أهم العوامل التي تجعل من الطفل غير متوافق نفسيا واجتماعيا فالحدث صغير السن مكانه الطبيعي مع أسرة تدمه بالأمن والطمأنينة حتي ينمو سليما من جميع النواحي ولهذا يكون من المثير للحريرة والغريبة أن نرى أطفالا في الشارع في ساعات متأخرة من الليل أو يهربون من البيت أو موضوعين في مراكز إعادة تربية الأحداث والأكثر إثارة للحريرة هو مبادرة الأولياء أنفسهم بطلب المركز بالتكفل بالطفل أو التخلي عنه، ولهذا جاء البحث الحالي انطلاقا من هذه الأعراض التي تدل على أن الأطفال يعانون من سوء المعاملة ويعيشون أوضاعا اجتماعية صعبة لذا كان الهدف من الدراسة هو التعرف على دور الأساليب التي يمارسها الأهل في تربية أبنائهم في ظهور سلوك الانحراف لديهم.

1.1. إشكالية البحث:

إن معظم ما توصل إليه الباحثون في مجال الأسرة وتربية الأبناء وكذلك الانحراف يقر بدور الوالدين الحاسم في تشكيل شخصية الأبناء، وذلك من خلال التنشئة الأولية التي تتم في الأسرة إذ يعد الوالدان النموذج الأول الذي يقلده الطفل في سلوكياته بدءا من السنة الأولى ليصل في نهاية الطفولة المبكرة إلى التطابق أو التوحد مع هذا النموذج الأبوي حيث تقول هدى (2007، 70) " والتوحد في نهاية الطفولة المبكرة هو المتغير الذي يفسر لنا كيف يكتسب الطفل سلوكا اجتماعيا أو حتى غير اجتماعي بشكل ثابت نسبيا" (التوحد هنا يقصد تقمص النموذج الأبوي والتطابق معه).

ودائما حسب هدى (2007)، فالتوحد يحقق للطفل الحاجات الأساسية في هذه المرحلة وهي:

- الشعور بالأمن والأمان.
- الشعور بالقوة والكفاءة والسيطرة على بيئته.

- تحقيق الاستقلالية (عن طريق استدخال النموذج، والتوجيه الذاتي لسلوكه، إذ يصبح الطفل قادر على مكافأة نفسه أو عقابها).

إلا أن هذا يتوقف على مدى توفر النموذج على صفات جذابة مثل الدفء العاطفي والرعاية والحنان والحب والكفاءة العقلية والقدرة على التصرف، وتوفير الحماية، في حين يكون من الصعب التوحد مع والد رافض، قاس أو مهمل هذا بالإضافة إلى مدى التزام الوالد بالمعايير السلوكية والأخلاقية ومدى حيازته عليها وهذا ما يساعد على نمو الضمير والسلوك الخلقي عند الأطفال.

لكن تجدر الإشارة إلى أن النماذج قد تتعدد بالنسبة للطفل، بدأ من تلك التي تقدمها وسائل الإعلام، والمشاهدة في المدرسة، فالطفل قد يقلد الكثير من السلوكيات العدوانية والمنحرفة من خلال الأفلام والبرامج التلفزيونية، ولكن ترى هدى (2007) " مهما تعددت النماذج التي يقلدها الطفل، وربما يتخذ منها قدوة أو يتوحد معها، يبقى الوالدان المصدر الأول والأهم للقدوة في حياة أبنائهم، وتتوقف الصورة التي ستتتبعها إليها ذات الطفل الاجتماعية بقيمتها وموقفها من الحياة والمجتمع من حولها، على نجاح الأسرة أو فشلها في أداء مهمتها في التنشئة الاجتماعية للطفل".

إن الحديث عن النموذج الأبوي ليس بغرض الحديث عن كيف تتم عملية التوحد بقدر ما نريد الحديث عن أهمية الخصائص التي يجب أن تتوفر في الأبوين من أجل تقديم تربية والدية قائمة على أساليب معاملة الأطفال تمكنهم من النمو السليم بمعنى شخصية منغرسه بشكل إيجابي في الأسرة وسائرة في نفس الوقت نحو الاستقلالية أو العكس شخصية مضطربة، وذلك مما ينقله الوالدان للطفل من مشاعر الحب والتقبل والرعاية أو العكس الرفض والنزب والإهمال دون مراعاة لطبيعة الطفل النامية وحاجاته الأساسية ولكن التربية لا تسير دائماً وفق منحنى ثابت يخيل لنا أنه ثنائي القطبين أحدهما الوالدان والثاني يتمثل في الابن بل هي عملية دينامية تتأثر بما هو نفسي انفعالي وما هو اجتماعي أي الظروف المحيطة بالأسرة ككل لئيمخض عن كل ذلك نموذج تربوي يحدد ما سنقول إليه شخصية الطفل إذ يقول الداهري (2008، 392): " فقد أصبح من المسلم به لدى علماء الصحة النفسية أن اتجاهات الوالدين في التربية تترك آثارها سلباً أو إيجاباً في شخصية الأبناء ويعزى إليها مستوى الصحة النفسية التي يمكن أن تكون عليه شخصيتهم كراشدين ويرى (عزيز وآخرون، 1999) أن السواء هو محصلة التجارب المشبعة والسارة في المراحل النمائية للطفل، حيث تتشكل بعد مرحلة الطفولة المبكرة الترسانة الدفاعية للطفل وذلك في مرحلة الكمون التي تتميز بالاستقرار النفسي حيث النشاط والطاقة الزائدة للطفل وزيادة الاعتماد على النفس والاستقلال عن الوالدين لتحقيق الذات والاهتمام بتكوين الصداقات والتنافس الاجتماعي وتعلم المعايير الخلقية والقيم وضبط الانفعالات، وهذا يكون في الظروف العادية ولكن قد تظهر على الطفل اضطرابات سلوكية وانفعالية إما موجهة نحو الداخل أو موجهة نحو الخارج وهذا ما ينطبق على حالة الأحداث المنحرفين الذين تصبح سلوكياتهم مصدراً للقلق يستدعي وضعهم في مركز لإعادة تربية الأحداث بهدف التهذيب على أنهم سبب المشكلة وهذا ما كان نقطة البداية في البحث الحالي الذي جعلنا نريد فهم لماذا يلجأ الأولياء إلى قرار وضع الطفل في المركز وغالباً ما تمنح لهم حرية اتخاذ هكذا قرار من قاضي الأحداث دون إلزام في كل الحالات لتعديل النموذج الأبوي في التربية خدمة لمصلحة الطفل إلا من خلال مبادرات بعض القضاة ومادام الأمر هكذا بماذا تتميز تفاعلات الأولياء مع أولادهم حتي يطور هؤلاء الأطفال سلوكاً منحرفاً، وبهذا يصبح تواجد الطفل بالمركز هو عرض لظاهرة أو مشكلة جعلتنا نتساءل عن السبب الذي يؤدي بالطفل إلى الانحراف وأسباب وضعه في المركز وتخلي الأولياء عن أداء الدور التربوي نحو الأبناء وبالفعل قمنا بدراسة

استطلاعية كشفت عن عدة أبعاد للمشكلة: ففي بعض الحالات يكون المركز هو الحل بالنسبة للأطفال الأمهات العازبات أو بدون مأوى أو المعنفات هن وأبنائهن ولكن يأخذ المركز معنى التخلي والقطيعة بالنسبة للأطفال يثيرون المشاكل السلوكية للوالدين وفي هذا مؤشر عن علاقة والدية مع الأبناء غير صحية تتجسد أقصى صورها في التخلي الذي يعني حسب DeLéonardis et all (2003) انفصال مرتبط بقطيعة، حيث أن كل انفصال مرتبط بألم يمكن تحمله إذا علم الطفل أن هناك رجوع ممكن أوتم تحضيره نفسيا لذلك ... لكن تجربة القطيعة تجعل استمرارية الذات وتنظيم الطفل لتماهياته ومثله واستخدام آلياته الدفاعية وتتأسق عالمه الخاص للإحساس والتفكير ومصداقية روابط الانتماء إلى جماعته محل شك فالتخلي هو قطع الرباط الاجتماعي - le lien social- وآثاره تبقى مدى الحياة"، فحسب هدى (2007، 70)" فالأطفال يكونون حريصين على الحفاظ على العلاقة العاطفية الدافئة مع الوالدين ولذلك فهم يحافظون على معاييرهم السلوكية حتى يقللوا من حدة القلق" وفي غياب هذه العلاقة نجد أن حسب وفيق (1999، 120-121)" بحث الأطفال عن أشخاص لإشباع حاجات نفسية ملحة ووجدانية كالأمن والطمأنينة والمودة وتحقيق الذات يدفعهم إلى البحث عن من يعرضهم ذلك في بيئات أخرى ومع أناس آخرين مغايرين ويضيف وفيق(1999، 122) قائلا: "ومن هنا يأخذ الهروب والجولان أسبابا في غياب الإشراف الوالدي وعدم إشباع حاجات الطفل للترفيه بإشرافهما يساعد على انسياقه وراء صحبة السوء على حساب اليوم الدراسي"، وبالنسبة لوفيق (1999، 122)" القسوة تولد العناد للمجتمع والتخويف يجعل من الطفل يخشى الناس فيجئ للهروب بمعزل عنهم بالإضافة إلى عيش الطفل في حالة ترقب للعقاب في أي لحظة مما يدفعه للهروب والجولان هروبا من العقاب".

قد أوضحت الإحصائيات في الجزائر والواردة عن المديرية العامة للأمن الوطني في (2004) حسب (محمود وفتيحة، 2008، 89) أنه غالبا ما ارتبط هروب الأحداث من البيت العائلي بتعرضهم للضرب من طرف أهلهم وأكد نفس المصدر أن مشكلة الهروب تزداد انتشارا ما بين العاشرة والثامنة عشرة خاصة في صفوف الذكور فقد قدر في (2003) أكثر من (216) هاربة و(346) هارب، وفي (2004) ما يزيد عن (170) هاربة و(270) هارب، فالهروب ما هو إلا تعبير عن عدم مواجهة الواقع حيث اعتبر (Janus et al) حسب (محمود وفتيحة 2008، 92-93) "أن الهاربين يعتقدون بأن الأحداث التي أدت بهم إلى الهروب تقلت من مراقبتهم وليس باستطاعتهم التحكم فيها وأن مثل هذه الإدراكات تولد فيهم مشاعر الذنب والعجز وما هروبهم إلا مظهرا من مظاهر السلوك التعبيري اليائس، كما أن من تأثيرات الضرب على نفسية الأطفال الهاربين ويضيف كل من (محمود وفتيحة، 2008، 100) أن " شعورهم بأنهم ليس مرغوب فيهم من طرف أسرهم"، ولهذا كل نمو سليم للطفل مرهون بعلاقة ثقة وأمن مع الراشد الذي يقوم على تربيته وبالأخص الوالدان، هذا شرط لتعلق يميز علاقة صحية لأن كل انفصال مع الوالدين أو أحدهما سيكون يقول (Zonabond، 2006، 160): " مصدرا لمعاناة كبيرة للطفل، خاصة عندما لا يقدم له أي تفسير لذلك فالشعور بأنه تم التخلي عنه الذي يفقده تقديره لذاته، يضر تطوره النفسي وعندما يصبح راشدا لن يقوم أي تعويض بسد ذلك النقص، ويضيف (Zonabond، 2006، 161) قائلا: " ولهذا فالتكيف الاجتماعي للطفل والراشد لاحقا مرهون بما إذا توفرت لديه معالم واضحة وهوية مستقرة مستمدة من وجود الأب الذي من خلال تعبيره عن الحب والاهتمام والسلطة الدافئة «يساعد الطفل ويطمئنه لإيجاد هويته"، وفي حالة العكس دائما ل(Zonabond، 2006، 161): " فالطفل لا يستدخل قانون الأب ويرفضه"، ويضيف نفس المؤلف أن سلطة الأم تستدخل من خلال عنايتها اليومية به " كما أشار (بولبي) في تقرير قدمه إلى منظمة الصحة العالمية حسب (فايز، 2004، 1992) إلى أن "التوازن العقلي للطفل يرتبط

بضرورة تمتعه بعلاقة حميمة ومستقرة وثابتة مع أمه أو المرأة التي تحل محلها بشكل دائم "هذا في حالة غياب الأم ولهذا نجد أنفسنا أمام سؤال وهو: هل إسناد مهمة التكفل بالطفل لمركز رعاية الأحداث من شأنه ألا يجعل حالة الأطفال النفسية والعقلية في خطر وهل بإمكان المركز تعويض دور الأولياء في حياة أبنائهم بتوفير تعلق يمنح الأمن والطمأنينة للأطفال؟ كما ذهب (بولي) حسب (فايز، 1992، 205) ليركز على " فقدان وجه الأمومة وما يتركه ذلك من علاقات القلق والعصاب والاضطراب العاطفي وعدم القدرة على إقامة علاقات عاطفية عميقة ودائمة"، وما قد يزيد من حدة أزمة هؤلاء الأطفال هو أنهم عرفوا قبل الانفصال نحو المركز مراحل انفصال متكررة وتم التكفل بمعظمهم من طرف أشخاص آخرين غير الأم وفي ظروف مضرة بسلامتهم وصحتهم أو أنهم ينفصلون عن أهلهم بسبب هروبهم من البيت أو هروب أحد الأبوين أو تخليه عن الأسرة، وعليه ففي غياب العلاقة المستقرة مع الوالدين أو أحدهما وبالشكل المشيع والمرضي واستقالة الوالدين عن أداء الدور التربوي أو عجزهما عن ذلك لن يجد الطفل المعالم وهذا ما يدفع بالطفل بالرجوع إلى (Zonabon، 2006، 161) إلى "الهروب من أسرته والالتحاق بجماعة يتبنى طريقة لبسها، لغتها وسلوكاتها ظنا منه أنه سيحصل على هوية "وبالتالي السقوط في الانحراف: كما أنه من المعروف أن الأطفال يسعون للحفاظ على علاقة الحب مع الوالدين: فلماذا يهرب هؤلاء الأطفال من البيت؟ لماذا لا يستجيبون لأوليائهم؟ لماذا يلجأ الولي إلى وضع ابنه في المركز من أجل تقويم سلوكه، وإعلانه عن عدم القدرة على التحكم فيه وتقديم أسباب أخرى لذلك كضمان مستقبله من خلال مزاولة الدراسة أو بسبب الفقر؟ وهذا يعبر عن علاقة غير صحية بين الأولياء والأبناء؛ ولهذا كان السؤال الأساسي في هذت البحث كالتالي:

- ما هي خصائص أساليب المعاملة الوالدية لدى الأحداث الجانحين؟

2.1. فرضيات البحث:

- الفرضية الأولى: تكون أساليب المعاملة الوالدية سيئة لدى الأحداث ذوي السلوك الانحرافي.

- الفرضية الثانية: تقي أساليب المعاملة الوالدية الجيدة الأحداث من السلوك الانحرافي

3.1. أهمية وأهداف البحث: تضمنت التساؤلات التالية:

- لماذا فشل هؤلاء الأولياء في عملية الضبط الاجتماعي للطفل؟

- لماذا يصل طفل في سن (6) سنوات وما دون (14) سنة إلى أن يصبح جانحا في حين تعد هذه المرحلة مرحلة استقرار نفسي واستثمار للمدرسة؟

- ما أثر المعاملة الوالدية في ظهور الجنوح لدى أطفالهم؟ وهل يلعبان فعلا الدور الذي أوكل لهما كوالدين في حياة طفلهم، ففي حين ينجح آباء في تنشئة أبنائهم ويكبر هؤلاء سعداء، لماذا يفشل آخرون (موضوع الدراسة) في هذه المهمة، ليكون أبنائهم جانحين وغير متوافقين نفسيا واجتماعيا؟

- فكيف لطفل أن يسلك السلوك غير المرغوب في حين أنه في الظروف الطبيعية يميل الطفل عادة إلى السلوك الحميد طلبا في الاتابة وكذلك حفاظا على علاقته الطيبة بوالديه، وهذا ما يعرف بالتعلق "l'attachement" الذي هو شرط ضروري للنمو السليم للطفل والذي لا يتنافى مع مطلب الاستقلالية الذي يعد حاجة نفسية وغاية التنشئة الاجتماعية، إذ تقول هدى (2007، 70): "فان الطفل الذي يتمتع بعلاقة عاطفية دافئة مع الوالدين يكون حريصا على الاحتفاظ بهذه العلاقة ويخشى دون شك من فقدانها" وتضيف أيضا " أن معظم الأطفال يقلقهم بالطبع -

بعض الشيء على الأقل - احتمال فقدان العطف والحب الذي يتمتعون به مع والديهم، و لذلك فهم يحافظون على معاييرهم السلوكية حتى يقللوا من حدة القلق".

بالإضافة إلى معرفة ما هي الأساليب التي يتبناها هؤلاء الأولياء في مواجهة مشكلات أطفالهم. ونريد أن نعرف ماذا حدث على مستوى علاقة الأولياء بالطفل حتى وصلت إلى هذا المستوى من التفكك والتصدع.

وأخيرا هل هذا التخلي للمؤسسة التأهيلية هو الحل الأمثل بالنسبة للطفل، وما أثر ذلك عليه. كما تهدف هذه الدراسة إلى توفير نتائج تسهم في تطوير برامج علاجية ووقائية تهدف إلى تقويم السلوك الانحرافي وتقديم مؤشرات ميدانية تساعد في تطوير السياسات الاجتماعية والتربوية الخاصة بالأحداث المنحرفين.

4.1. تحديد المفاهيم:

- مفهوم الحادثة:

تعرف فتيحة (2011، 08): "الحدث هو الصغير، طول مرحلة عمره التي تبدأ منذ ولادته وحتى يتم له النضج النفسي والاجتماعي وتتكامل له عناصر الرشد"، هذا التعريف لا يخبرنا بالسن الذي تبدأ منه مرحلة الرشد ولا يحدد لنا ماهي ومتى تكتمل عناصر الرشد لدى الحدث بسبب وجود عوامل كثيرة تتداخل في تحديد الرشد والنضج النفسي الاجتماعي، كما تختلف مثل هذه العوامل باختلاف قدرات كل فرد ومدى اكتسابه من الدراية بشؤون المجتمع.

ولهذا إذا أردنا تحديد معيار نلجأ إليه في تحديد ذلك فيكون بالرجوع إلى العمر العقلي والعمر الزمني، إلا أن التناسب بين العمر العقلي والعمر الزمني لا يسير وفق معدلات ثابتة تقول فتيحة (2011، 08) لذلك تتجه كافة تشريعات الأحداث إلى الأخذ بالعمر الزمني في تحديد ماهية الحدث على أساس أنه المؤشر الظاهر الوحيد الذي يمكن به استظهار مرحلة النضج العقلي للحدث، إلا أن هذه التشريعات لم تتفق على سن موحدة يعتبر فيها الفرد حدثا، بل اختلفت في تحديد الحد الأقصى لسن الحدث الذي يتراوح بين (15-18-21) سنة.

وقانونيا حسب فتيحة (2011، 08): «تحدد مسؤولية الحدث الجنائية من خلال التشريعات عند سن معينة يسأل جنائيا عند بلوغها مسؤولية مخففة، وتستمر هذه المسؤولية إلى أن يبلغ سن الرشد الجنائي وعندها يسأل مسؤولية كاملة».

فالحدث حسب فتيحة (2011) هو: صغير السن الذي لم يبلغ سن الرشد القانونية، وفي الجزائر حدد سن الحدث بـ (18) سنة.

- مفهوم الانحراف:

لغة: تعرف فتيحة (2011) على أنه ينحدر مصطلح الانحراف (délinquance) من الاصطلاح الروماني (délictum) وكان في البداية يطلق على كل فعل ينطوي على جريمة أو خرق للقانون ثم امتد ليشمل كل إهمال أو تقصير، كما تعني الكلمة عند الرومان الخيبة وعدم أداء الواجب.

كما أن نشأة هذا المفهوم تعود إلى كونه مفهوم يستعمل في مجال الرياضيات والإحصاء، ويقصد به في هذا المجال التحول عن الاتجاه أو المعيار أو الابتعاد عن درجة معينة في مقياس من المقاييس.

وأول ما استخدم مفهوم انحراف الأحداث في بريطانيا سنة (1851) حيث أعدم خمسة أطفال أعمارهم من (8 إلى 12) سنة، وتضيف فتيحة (2011) أنه مازال هذا المفهوم (أي الانحراف) يستعمل للتعبير عن النشاط الإجرامي للبالغين، وبالنسبة للأحداث عن كافة الأفعال غير المتوافقة بدءا من المروق والاعوجاج

الخلاقي إلى ارتكاب الجرائم البسيطة أو الخطيرة، ثم اتسع مفهوم انحراف الأحداث ليشمل كافة الحالات التي يوجد فيها الحدث والتي يحتمل معها انحرافه حتى لو لم يقدم الحدث على ارتكاب ما يحرمه القانون أو تأباه الجماعة.

اصطلاحاً: يعرفه شريف كامل حسب بوخميس (2010، 25) على أنه "انحراف عن المعايير السلوكية المتعارف عليها، والتي يقرها المجتمع وهو مظهر من مظاهر عدم التوافق مع البيئة الاجتماعية"، ويعرف جلال عبد الخالق الفرد المنحرف حسب بوخميس (2010، 26) على أنه "هو ذلك الشخص الذي يرتكب فعلاً يخالف أنماط السلوك المتفق عليه للأسوياء في مثل سنه والبيئة ذاتها نتيجة لمعاناته، وصراعاته النفسية اللاشعورية، تدفعه لا إرادياً لارتكاب هذا الفعل الشاذ كالسرقة والعدوان أو الكذب أو التبول اللاإرادي".

ويعرف "أنور الشراقوي دائماً حسب بوخميس (2010، 25): "الحدث المنحرف على أنه: "صغير السن الذي يستجيب لعدم التوافق بدرجة كبيرة ومتزايدة وبوسائل عدوانية".

أما روث كافان فيرى فيما جاء به بوخميس (2010، 26) أن: "الحدث المنحرف هو كل طفل أو شاب ينحرف سلوكه عن المعايير الاجتماعية بشكل يؤدي إلى ضرر بنفسه أو بمستقبل حياته أو المجتمع ذاته". إلا أن العلماء والباحثين المهتمين بهذا الموضوع ينظر كل واحد منهم له من وجهة نظر تخصصه ولهذا نجد المفاهيم تختلف باختلاف التخصصات التي تناولته بالدراسة فنجد التعريف القانوني، التعريف النفسي وأيضاً التعريف الاجتماعي.

- **التعريف القانوني:** قول فتية (2011) أن القانون يحصر الانحراف في حدود معينة، وكذلك بالنسبة للعقوبات فهي تختلف نوعيتها حسب نوع الفعل المرتكب والشخص الذي ارتكب ذلك الفعل، أي المنحرف حدثاً أو بالغاً، ويفرق القانون بين الأعمال الجانحة وبين الجرائم، فالجريمة تصدر عن شخص عاقل مميز وقام الدليل الاعتباري على أنه يستطيع التمييز بين الخير والشر، أما الطفل فلا يمكن أن نحكم عليه أنه يتميز بهذه القدرة. والفرق في نظر القانون بين جريمة الصغير والكبير هو فارق السن بالدرجة الأولى.

- **التعريف النفسي:** من وجهة النظر النفسية حسب فتية (2011): الانحراف أو هو السلوك غير الاجتماعي بصفة مطلقة ويقوم على عدم التوافق بين الفرد ونفسه وبين الفرد والجماعة، هذا التعريف يأخذ بعين الاعتبار عامل الاستمرارية، أي أن يكون عدم التوافق الاجتماعي سمة واتجاهاً نفسياً واجتماعياً تقوم عليه شخصية المنحرف وليس نتيجة ظروف ضاغطة تؤثر على سلوكه كما يحدث لأي شخص بصفة عابرة.

كما يعرفه (cyrl burt) فيما جاءت به فتية (2011، 11): "بأنه إفراط في التعبير عن قوة الغرائز وشدة انفعالها لدى بعض الأفراد" متفقاً مع (Mc dougall) الذي يقول أن الغرائز هي الاستعدادات التي تولد مع الفرد وتدفعه إلى بلوغ غاياته.

- **المفهوم النفسي الاجتماعي للانحراف:** "الانحراف كنوع من سوء التوافق النفسي الاجتماعي يقول Perron (1972): «أن سوء التوافق يمكن أن يشير إلى الأطفال الذين يتصفون بحدة الطبع (enfants caractériels) والذي يؤدي إلى سلوكيات عدوانية تخريرية وتحطيمية تثير قلق المحيط والتي يمكن أن تتول إلى الانحراف»، وبالتالي يعتبر الانحراف نوعاً من سوء التوافق الذي يكون ناشئاً من حالة مرضية أو أزمة نمو عابرة. إن مفهوم سوء التوافق يقود إلى التساؤل عن ما هو التوافق:

يقول دائماً Perron أن التوافق في المقام الأول هو الوصول إلى أسلوب من العلاقات البيئشخصية وتحقيق نوع من الاندماج الاجتماعي المرغوب وبالتالي سوء التوافق عند الطفل هو نوع من التطابق السيء (le mauvais ajustement) بين الطفل ومحيطه، انطلاقاً من عدم القدرة على الاستجابة بشكل مرض

للضغوطات أي سوء توافق الطفل مع المجتمع الذي يفرض من خلال التربية أنواعا من الإلزامات من أجل ضمان استمرارية المجتمع وتطوره من خلال نظم القيم التي يبني عليها وجوده، وهذا التعريف لا ينطبق على ذوي العاهات والإعاقات التي تؤدي - إذا لم يقدّم المجتمع بمساعدتهم على التعويض وتجاوز الإعاقة إلى عدم التوافق.

حيث أن التطور النفسي للطفل هو التكوين التدريجي لبنيات التوظيف النفسي التي بفضلها يستجيب بشكل صحيح لمتطلبات البيئة، ومنه وظيفة التوافق ومتطلبات البيئة تتطوران بشكل ارتباطي وتستند كل منهما على الأخرى بالتبادل؛ ومنه كل سوء توافق يكمن في الفارق أو التباعد بين وظيفة التوافق ومتطلبات البيئة. ومنه أمام رفض قوانين المجتمع وإلزاماته يعبر الانحراف عن بنية شخصية تتشكل تحت تأثير الظروف الاجتماعية ونمط العلاقات السيئة بحيث تصبح صعبة التغير أمام تغيير شروط البيئة، فهذه البنية بمجرد تكونها تصبح هي نفسها سبب سوء التوافق أمام أي وسط اجتماعي.

- مفهوم أساليب المعاملة الوالدية:

وتعرفها لمياء (2007) بأنها: " الأساليب السلوكية المتبعة من قبل الوالدين أو من ينوب عنهما في ضبط سلوك أبنائهم في مواقف الحياة اليومية داخل المنزل أو خارجه وتتمثل في أساليب القسوة، الدلال، الإهمال، الحزم مع العطف، والتضارب بين الأم والأب في المعاملة".

ويعرفها حامد زهران حسب لمياء (2007) بأنها: "الأساليب النفسية الاجتماعية التي يتبعها الوالدان مع الطفل في العملية النفسية الاجتماعية كالثواب والعقاب بنوعيهما المادي والمعنوي والتي تؤثر في نمو الطفل العقلي والانفعالي والاجتماعي".

حيث يمكن التفريق بين أساليب المعاملة الوالدية الجيدة التي يعرفها " أبو عياش حسب عزيزة (2011، 53): " بأنها تلك الأساليب التي تميل إلى إشعار الأبناء بالتقبل والاستقلالية والتي من شأنها أن تؤدي دورا بارزا في مساعدتهم على تحقيق ذواتهم وتوكيدها".

وبالمقابل نجد أساليب المعاملة الوالدية السيئة التي تتمثل فيما جاء به بشير (2007، 12): " أي سلوك عنيف وقاس يتضمن سخرية وازدراء ضد الطفل من والديه أو القائمين على رعايته مما يترتب عليه إصابته بجرح أو إيذائه بدنيا ونفسيا أثناء التفاعل مع مواقف التنشئة ومن شأنه حرمان الطفل من حقوقه و تقييد حريته، سواء كان هذا السلوك نتيجة إهمال أو خطأ مقصود بهدف تهذيب الطفل أو عقابه، ويتضمن ذلك السلوك الضرب والصفع على الوجه واللكم الشديد والحرق والقرص وجذب الشعر والدفع بقوة والعض والتقييد بالحبل و وضع أشياء مؤلمة وكراهة في الفم".

أما المركز القومي الأمريكي للصحة النفسية فيحدد سن الطفل المساء معاملته في تعريفه للإساءة حسب بشير (2007، 12) بأنه: " كل طفل تحت سن الثامنة عشر يتعرض للجروح الجسدية أو العقلية أو للاعتداء الجنسي والإهمال أو إساءة معاملته من الشخص المسؤول عن رعايته، بحيث يؤدي إلى الضرر بالطفل أو التهديد لصحته وسعادته".

ولهذا يمكن حصر الإساءة حسب بشير (2007) في معاملة الأطفال في: الإساءة الجسدية، الإساءة الجنسية، الإساءة الانفعالية الحرمان ويقصد به الحرمان العاطفي والحرمان من الحاجات الأساسية كالنوم والراحة والتعليم ومن اللعب والرعاية الصحية.

- التعريف الإجرائي لانحراف الأحداث:

لقد تم تحديد انحراف الأحداث إجرائيا من خلال مؤشرات دالة عليه ومتوفرة في عينة البحث وذلك من خلال تقارير الأخصائيين النفسيين للمركز الذي تمت فيه الدراسة الميدانية وذلك بالرجوع إلى تاريخ الحالة وتمثلت المؤشرات في:

- التسكع طول النهار ولساعات متأخرة ليلا والوقوف في قبضة الشرطة.
- الهروب من البيت.
- العمل إما بشكل فردي لكسب المال أو ضمن جماعة.
- التسول إما بشكل فردي أو مع أحد الوالدين وغالبا ما تكون الأم.
- التدخين.
- مصاحبة رفاق السوء والجولان في أماكن بعيدة عن المنزل دون موافقة الأولياء.
- الصحبة السيئة مع أشخاص راشدين.
- الهروب من المدرسة أو عدم التمدرس أصلا.

كما أخذنا بعين الاعتبار كل وضعية قد تؤدي بالطفل إلى الانحراف حتى ولم لم يرتكب فعلا منحرفا لكن من شأنها أن تضعه على طريق الانحراف مثل الأطفال الذين يعيشون حياة التشرد التسول مع الأمهات المغتصابات اللاتي بدون مأوى ويقصد هنا الأطفال الذين هم في خطر معنوي، وعلى كل حال يمكن أن نصف جميع أطفال عينة البحث بأنهم في خطر معنوي سواء قاموا بسلوك منحرف أو لا وهذا بالنظر لسنهم وما داموا عرضة للانحراف نتيجة لظروف أسرية صعبة تجعلهم دون حماية وتوجيه.

- التعريف الاجرائي لمفهوم المعاملة الوالدية:

بالرجوع إلى الأدبيات التي تناولت هذا الموضوع ومن خلال الدراسة الاستطلاعية تم تحديد أساليب المعاملة الوالدية من خلال مؤشرات تخدم فرضية البحث وتمثلت في:

- الحب مقابل النبذ
- التقبل مقابل الرفض
- العقاب المعنوي والجسدي
- الاتصال
- الإشراف مقابل الإهمال
- الحماية مقابل التهديد
- الاكراه والاستغلال

5.1. الدراسات السابقة:

ذكر Michel (2005) دراسة شيلدون وإيليانور قلوأكس (Sheldon et Eleanor Glueck) " الأسرة كوسط مثير للانحراف": إن العمل المنجز من طرف الباحثان " قلوأكس" بين (1939-1950) يعتبر إلى حد الساعة كمرجع كلاسيكي فيما يخص العلاقة بين الخصائص الأسرية والانحراف، إن كتابهما " Unra- Veling Juvenile delinquency " الصادر في (1950) يعرض نتائج بحث دام لأكثر من (10) سنوات على عينة أطفال تتكون من (1000) منهم (500) منحرفين و(500) غير منحرفين: تعنى هذه الدراسة بأثر العناصر العائلية والشخصية على سلوك الانحراف.

يتميز أطفال العينة بكونهم كلهم من الجنس الأبيض ويأتون من أحياء فقيرة (défavorisé) في بوسطن وماساشوزات (Boston- Massachusette) في و.م.أ. تحتوي العينة على عناصر يتراوح عمرهم من (10 إلى 17) سنة، (بمعدل 14 سنة و 8 أشهر).

- تم تجميع النتائج المتوصل إليها في عدة فئات:

- استقرار المسكن: (stabilité de la résidence) أسر المنحرفين تغير المسكن غالباً، هذا التنقل يرتبط غالباً مع عدم القدرة على دفع الإيجار.

- نوعية المسكن: كانت مساكن المنحرفين تختلف عن مساكن غير المنحرفين بالنسبة للشروط الصحية والنظافة وتتميز بكثافة سكانية.

- الوضعية الاقتصادية: أسر المنحرفين تابعة غالباً لهيئة مساعدة مالية، حيث هناك أقل عدد من الأشخاص في الأسرة الذين يعملون ويتلقون راتباً وكذلك قدر كبير من عدم الانتظام في العمل.

- خصائص سلوكية (caractéristiques comportementales):

عندما يتم الاهتمام بمسار الأعضاء الآخرين في الأسرة، يلاحظ وجود أكثر للعلامات المرضية في جيل أجداد المنحرفين (تأخر عقلي، إدمان الكحول، اضطرابات انفعالية (troubles affectifs)، انحراف، كما تم كذلك ملاحظة انحراف أكبر لإخوة وأخوات المنحرفين.

- نوعية الحياة الأسرية (qualité de la vie familiale): في أسر المنحرفين الوقت ليس منظم، نمط الحياة فوضوي (وقت الأكل، موعد النوم)، العائلة لا توفر المال، تستدينه بدون أن تعرف كيف سيتم تسديده وأقل تناسق عائلي (cohésion familiale) وأقل تضامن، وأقل محاولات لتحسين ظروف الأسرة.

- العلاقات الأسرية: نلاحظ غالباً حرارة في العلاقات بين الأولياء والأطفال في أسر غير المنحرفين، في حين نلاحظ اللامبالاة (l'indifférence) والرفض (le rejet) عند المنحرفين. عموماً في أسر المنحرفين (تمارس فيها سلوكيات لا أخلاقية، والقليل من النشاطات الترفيهية مقارنة مع غير المنحرفين).

- الضبط - (الانضباط) (la discipline): يكون إشراف الأم أقل بكثير عند المنحرفين، في هذه الأسر يترك الأطفال أحياناً دون مراقبة، يكون أسلوب الضبط غالباً: مترخي (lâche)، جد متشدد، أو متذبذب (erratique) في حين أسلوب الضبط عند غير المنحرفين يتميز بالحزم واللين، في النهاية، في أسر المنحرفين، عندما يعاقب الوالدان يستعملان غالباً العقاب الجسدي ونادراً لغة الحوار.

دراسة Sampson et Lau (1993) التي تستند إلى نموذج نظري الذي يعود إلى النموذج العام في الضبط الاجتماعي (le modèle générale du contrôle sociale) لـ Hirschi (1969)، الذي يقول أن الجريمة أو الجنوح يظهران عندما يكون الرابط بين الفرد والمجتمع هشاً جداً أو متصدعاً (Brisé)، وأعطى للأسرة دوراً رئيسياً فيما يخص الضبط الاجتماعي غير الرسمي، تم التركيز في نموذج الضبط الاجتماعي غير الرسمي على ثلاثة أبعاد، وهي: الانضباط (discipline)، الإشراف (supervision) والتعلق (l'attachement). أما القسم الثاني من نظريتهما فيقول بأن العوامل الخاصة بالاستقرار الاقتصادي والاجتماعي تؤثر على الانحراف بتأثيرها على سيرورات الضبط الأسري les processus du contrôle familiale.

الانحراف الوالدي يؤثر على انحراف الطفل عن طريق اضطراب الضبط الاجتماعي، إذ ليس له تأثير مباشر في انتقال الانحراف لدى الأطفال، (هذه العلاقة غير المباشرة تم تأكيدها بشكل واسع من طرف دراسات حديثة

تبين الدور الوسيط لمتغيرات الضبط الوالدي (أو الإشراف الوالدي) بين الانحراف الأسري (عند الوالدين) والانحراف (لدى الأطفال)؛ كما توصل الباحثان إلى نتائج مفادها أن: الانحراف يرتفع عندما يصبح الضبط (la discipline) (سواء من طرف الأب أو الأم) أكثر قسوة، وأكثر عقاباً، وبالعكس، فإنه ينخفض عندما يرتفع مستوى الإشراف والتعلق.

أما الدراسات التي أجريت على المجتمع الجزائري فنجد منها دراسة:

كما ذكرت فتيحة (2011) دراسة مورييس بوروا (1948) حول " الحالة العائلية للأطفال المنحرفين في الجزائر العاصمة: حيث ركزت أهداف هذه الدراسة على التعرف على العوامل العائلية التي تقود إلى انحراف الأحداث (كالطلاق، وفاة أحد الوالدين أو زواج الأب من امرأة أخرى) كما هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر شجار الوالدين في انحراف الأحداث مركزة على الخصائص الشخصية للوالد كالسمعة السيئة والاجرامية والإدمان على الكحول وتناولت من جهة أخرى الخصائص الشخصية للألم كسوء الأخلاق والاجرامية أو الزواج من رجل آخر، وقدر عدد عينة البحث ب (654) طفلاً من الجنسين (525 من الذكور و129 من الإناث) بحيث ينحدر (444) من مجموعهم من أسر مرضية، بينما ينحدر باقي أفراد العينة من أسر عادية، وتوصل الباحث إلى وجود حالات من الشذوذ العائلي بالنسبة للمنحرفين الذين ينحدرون من أسر مرضية؛ واستخلص الباحث أن الطلاق وانفصال الوالدين ووفاة أحدهما أكثر انتشاراً عند الأطفال المنحرفين مما يؤكد وجود علاقة بين الظروف العائلية وانحراف الأحداث.

وفي نفس المصدر؛ فتيحة (2011) ذكرت دراسة محمد ارزقي بركان: " أثر النزوح الريفي على انحراف الأحداث بالجزائر" (1983): أدخلت هذه الدراسة عنصر النزوح الريفي ودوره في الانحراف حيث حاول الباحث التحقق من الفرضيات التالية:

- يميل الأحداث المنحرفون إلى الانحدار من أسر ذات مستوى اجتماعي واقتصادي منخفض.
- تزيد نسبة تواجد الأحداث المنحرفين في البيوت المتصدعة التي تعاني من الطلاق أو وفاة أحد الوالدين.
- يميل الأحداث المنحرفون إلى الانحدار من أسر كبيرة الحجم.
- يميل آباء المنحرفين إلى اعتماد أساليب عقابية قاسية أكثر من الاعتماد على الأساليب الأخرى عندما يرتكب الحدث عملاً خاطئاً؛ توصل الباحث إلى وجود علاقة بين النزوح الريفي والانحراف وبين الحالة الاقتصادية السيئة ونقص العاطفة لدى الوالدين وكبر حجم الأسرة، أي تدعيم العلاقة بين الظروف الأسرية والاقتصادية وانحراف الأحداث.

وأضافت فتيحة (2011) دراسة بن الشيخ بختي: "التفكك الأسري وأثره في انحراف الأحداث " (1990): تكونت عينة البحث من (240) منحرف؛ وتوصل الباحث إلى تقديم اقتراحات تمس الجانب العلاجي خاصة على مستوى الأولياء باعتبارهم جذور المشكلة، واقتراحات خاصة بالمنحرفين كمحو أميتهم ومعاملتهم بدون قسوة وتوصيات تتعلق بمعاقبة الأشخاص الذين يدفعون بالأحداث نحو التشرذم والاهتمام بقضاة الأحداث وأن تكون محاكم الأحداث مستقلة.

كما أشارت فتيحة (2011) إلى دراسة زينب حميدة بلقادة: " جنوح الأحداث وعلاقته بالوسط الأسري: " تمثل الهدف من الدراسة في معرفة الظروف الأسرية التي يعيشها الأبناء ومدى تأثيرها في انحرافهم؛ وتوصلت الباحثة إلى أن نسبة (66.67%) من أسر الجانحين كان يسودها الخصام بين الزوجين بالإضافة إلى أن نسبة

هجر أمهات الجانحين لبيوتهن قدرت بـ (23.33 %) والتي كانت أكبر من نسبة الآباء و التي قدرت بـ (06.67%) كما أن نسبة (94.44%) من آباء الجانحين كانوا يستعملون أساليب خاطئة في معاملتهم لأبنائهم، حيث أن (50%) كانوا يستعملون القسوة، في حين نسبة (76.67%) من أمهات الجانحين كن يستعملن هذا الأسلوب في المعاملة ونسبة (34.45%) منهن كن يستعملن أسلوب التآرجح.

لقد تناولت الدراسات المذكورة أعلاه أثر العوامل الأسرية في ظهور الجناح بما فيها عوامل اجتماعية اقتصادية وعوامل ثقافية تربوية علائقية وحتى الصحية بما فيها العوامل النفسية؛ حيث يظهر التفاعل بين هذه العوامل إلى درجة أننا نعجز عن الفصل بسببية أحدها أكان عاملا مباشرا أو غير مباشر فقد تتأثر طريقة معاملة الأولياء لأبنائهم بالفقر وتدني المستوى الاجتماعي كما يتأثر هذا الأخير بعوامل أخرى مثل المستوى التعليمي للوالدين وسلوكهما المنحرف الذي يؤثر نفسه في ظهور الانحراف وما قد يعد سببا يمكن أن يكون في حد ذاته نتيجة لسبب آخر رغم تأثيره في حدوث هذه الظاهرة، ومهما يكن فإن هذه الدراسات اتفقت حول أثر التفكك الأسري وأساليب المعاملة الوالدية للأبناء في ظهور الانحراف ما دامت الأسرة هي الوسط المباشر الذي يعيش فيه الطفل والذي لديه التأثير المباشر على سلوكه بغض النظر عن تدخل عوامل وسيطة بين أساليب المعاملة الوالدية و الانحراف.

2- الطريقة والأدوات:

1.2. ميدان البحث:

أجرينا الدراسة في مركز إعادة التربية للأحداث - ذكور (العاصمة - الأبيار) الذي يضم أطفالا تتراوح أعمارهم من ستة إلى أربعة عشر سنة الذين يتم إيداعهم من طرف قضاة الأحداث عبر كامل التراب الوطني بواسطة أمر بالإيداع المؤقت.

2.2. عينة البحث:

تتكون عينة البحث من (9) تسعة أطفال تتراوح أعمارهم من (8) إلى (12) سنة، ولقد تم تحديد العينة بهذا الشكل لأن هذه العينة تخدم هدف البحث وهو التعرف على أساليب المعاملة الوالدية التي تؤثر على سلوك الانحراف لدى الأطفال أو تضعهم في خطر معنوي يقودهم إلى الانحراف باعتبار أن مرحلة الطفولة لها من الأهمية في بناء الشخصية وكلما تعرفنا على الأسباب التي تؤدي بالأطفال إلى الانحراف كلما تمكنا من الوقاية والعلاج ويمكننا التأثير على مسار نمو الطفل وبنية شخصيته لأنها في طور التكوين، حيث يكون التكفل بالحدث المنحرف أسهل من علاج الجريمة لدى الراشد: حيث يتميز أطفال العينة بكونهم إما:

- أطفال لوالدين بيولوجيين.
- أطفال لأمهات عازبات.
- طفل بالتبني.

حيث منهم من قام بالسلوك الانحرافي ومنهم من هو في خطر معنوي قابل لأن يقع بسهولة في الانحراف. حيث تم أخذ أطفال عينة الدراسة النهائية من العينة التي شكلت الدراسة الاستطلاعية، التي كشفت عن الملمح الذي تتميز به أسر هؤلاء الأطفال سواء من الناحية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إذ أن هؤلاء الأطفال يمثلون نفس أغلب خصائص أطفال عينة الدراسة الاستطلاعية.

وبالتالي فعمر أطفال عينة البحث يتراوح من ثمانية سنوات إلى اثنتي عشر سنة، حيث يتم وضع الأطفال ذوي السلوك الانحرافي أو المعرضين للانحراف (في خطر معنوي) في مركز إعادة تربية الأحداث بدءاً من سن ست سنوات إلى سن أربعة عشر سنة، فقد حدد Perron (1986) الطفولة المتأخرة إلى غاية اثنتا عشر سنة. أما Debray (2000) فحددت فترة أو مرحلة الكمون من ستة إلى اثنتي عشر سنة.

3.2. منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على منهج دراسة الحالة، لطبيعة البحث وما يطرحه من إشكالية وفرضيات. لقد عرفه (Rarnasari & Sudrajat (2023 على أنه أسلوباً بحثياً نوعياً يركز على الاستكشاف المتعمق لواحدة أو أكثر من الظواهر المحدودة في سياقات الحياة الواقعية، مما يسمح للباحثين باكتساب فهم شامل للقضايا المعقدة. هذا المنهج يتميز بقدرته على تقديم نظرة مفصلة وعميقة للحالات المدروسة، مما يجعله أداة فعالة لفهم الظواهر في بيئتها الطبيعية.

4.1. أدوات البحث:

اعتمدنا في البحث على أداتين نعتبر كل واحدة مكتملة للأخرى بغرض جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والمعطيات التي تمكننا من الفهم الأقرب والأكثر دقة للحالة من أجل الوصول إلى استنتاج يفسر أو يكشف عن العلاقة بين متغيري البحث، على اعتبار أن كل طفل بتاريخه يمثل حالة متفردة ومتميزة عن الأخرى، وهذا ما يعطي الطابع السيروراتي للحالة (le cas est processuel) وبالتالي شكلت التقنية الأولى:

- دراسة (تاريخ حالة الطفل L'anamnèse):

حيث يرى كل من (Pedeneilli & Ferdenenz (2005، 84) أن هذه التقنية تسمح بجمع المعلومات عن ماضي المريض، وهي تحري موضوعي عن سيرته الذاتية، حيث تم جمع المعلومات عن تاريخ الأطفال من خلال تقارير الأخصائيين النفسيين وملاحظات المربين والمشرفين على الأطفال فمغلب المعلومات التي نحصل عليها من طرف هؤلاء (أي المربين والمشرفين) تمت مناقشتها مع الأخصائيين النفسيين لتحري الموضوعية.

- دليل المقابلة النصف موجهة:

بالإضافة إلى الاعتماد على تاريخ الحالة في جمع المعلومات تم اعتماد دليل المقابلة النصف موجهة فالمقابلة تمدنا بمعلومات تتعلق بما يدركه ويعيشه الطفل من أساليب للمعاملة الوالدية، وعلى اعتبار أن انحراف الأطفال يظهر في العينة غالباً منذ (5) سنوات أو ستة سنوات افترضنا أنه ليس وليد هذه المرحلة العمرية التي يعيشها الأطفال -مرحلة الكمون- التي من المفروض أن تتميز بالاستقرار النفسي وهي المرحلة التي من المفروض أن كل الترسانة التي تشكل دفاعات الطفل قد تم تكوينها فيها". إذ أن الأطفال إن وصلوا إلى درجة الانحراف في هذه المرحلة هذا يعني أنهم خبروا حياة وطفولة أولى مليئة بالخبرات السيئة ما جعلهم غير متوافقين نفسياً واجتماعياً.

كما اعتمدنا في بناء دليل المقابلة على التراث العلمي الذي تناول أساليب المعاملة الوالدية، وكذلك الانحراف بالإضافة إلى المعلومات التي حصلنا عليها من تاريخ الحالة والدراسة الاستطلاعية. تكون دليل المقابلة من أربع محاور كالآتي:

- المحور الأول: معلومات عن الطفل (الاسم، اللقب، السن).
- المحور الثاني: (سبب دخول الطفل إلى المركز).
- المحور الثالث: المعاملة الوالدية: ويشمل
 - الحب مقابل النبذ.
 - التقبل مقابل الرفض.
 - العقاب (المعنوي، الجسدي) مقابل التسامح.
 - الحوار والتواصل.
 - الإشراف مقابل الإهمال.
 - الحماية مقابل التهديد.
 - الإكراه والاستغلال.
- المحور الرابع: ردود فعل الطفل اتجاه المعاملة الوالدية.

- عرض نتائج المقابلة نصف الموجهة:

الحالة الأولى: عما أفضت إليه المقابلة يعبر عن الفراغ العلائقي داخل الأسرة وعدم وجود الإشراف فالطفل يفعل ما يريد ويبقى لساعات متأخرة يتسكع، هذا الفراغ العلائقي حاول الطفل إنكاره من خلال إعطاء صورة مثالية عن الأب الأم والأسرة كلها، وترجم حب الوالدين إليه في تلبية الحاجات المادية وتركه يفعل ما يريد.

كما أنكر تماما إقدامه على فعل منحرف، وبالمقابل يتلقى قرار وضعه في المركز بسلبية "راني هنا علاجال قرايتي" لأنه يهرب من المدرسة وهذا التفسير الذي حاولت الأم إقناعه به بوضعه في المركز، وأمام القرار التعسفي للأم يعيش الطفل حالة ضيق شديدة "حببت نخرج، كرهت... نقرا وما نزيدش نهرب من l'école"، هذا البتر العنيف في علاقة الطفل مع أسرته جعله أكثر تمردا خلال الزيارات في البيت، حيث صارت الأم لا تقوى على التحكم في الطفل الذي إذا لم يسمح بفعل ما يريد يهدد بعدم العودة إلى المركز، وبالتالي التخلي عن الطفل الذي بلغ أقصى صور الإهمال والرفض لم يزد سوى في ترسيخ سلوك العناد لديه والانحراف.

الحالة الثانية: برز موضوع الإساءة الأمومية واضحا من خلال أجوبة الطفل التي تجلت في العقاب المعنوي والجسدي إلى درجة الطرد من البيت، والإهمال التربوي بكل ما يتضمنه من عدم أداء وظائف الإشراف من جميع النواحي المادية والمعنوية، فالأم موضوع مسيطر ويقمع الأسرة ويسيء للأب والطفل إلا أنه ومثل باقي الأطفال في عينة هذا البحث تظهر التناقضات التي تخص الصور الوالدية خاصة المسيئين منهم، فالطفل يذكر الأم على أنها مسيئة، لكن عندما يتعلق الأمر بموضوع الحب والتقبل نجد دائما بروز ميكانيزم انشطار الأنا الذي يعطي لها صورة الأم المحبة والحنون مع الرغبة في أن يتصالح الأب والأم ليعيش معهما، وهذا ما يشير إلى أنه رغم الإساءة تبقى لدى الطفل تبعية للأم، فهي لا تبدي أي نية في استرجاع الطفل نهائيا، خاصة وأنها تسعى من خلال ذلك إلى دفع المركز إلى عرض الطفل على الطبيب المختص في الأمراض العقلية للحصول على شهادة طبية تثبت أن الطفل يعاني من خلل عقلي لتستحوذ على حق إدارة المال الذي خصصه له الأب في الميراث.

وفي الأخير إن تأكد طلاق الوالدين رسميا، يجعل الواقع يفرض نفسه وهو ذهاب الطفل للعيش مع الأم حيث أن إعاقة الأب تمنعه من رعاية الطفل، الأمر الذي لا يمكن للطفل تصوره، هذا كله جعله يقوم بالهروب من المركز رافضا هذا الواقع، فهو هروب من الموضوع المسيء، بعد أن كان طفلا متكيفا إلى حد كبير اجتماعيا وتمكن من الدراسة بنجاح وهذا ما يفضي إلى أن المعاملة الوالدية السيئة للأم دفعت بالطفل إلى الهروب ومنه إلى

الانحراف حيث أن الطفل منذ البداية كان واعيا بسبب هروبه من البيت وذلك راجع للمشاكل والشجارات التي لا تنتهي بسبب الأم وقمعها للأب إلى درجة ضربه وطرده مع الابن إلى الخارج والعنف الرمزي والمعنوي الذي تمارسه عليهما من خلال التهديدات مثل عدم أخذ الطفل في العطل، وتأنيب الطفل على علاقته الجيدة مع الأب وجعل البيت مكانا مشحونا بالغضب والاستفزاز مع عدم الأمن الذي يعيشه الطفل في البيت الذي يترقب في أي لحظة سخط الأم على الجميع.

الحالة الثالثة: كان الطفل في وضعية كف ورفض الإجابة عن بعض الأسئلة خاصة التي تتطرق إلى محتوى علاقته مع الأم التي حاول في البداية وصفها بالجيدة والعادية ليتضح بعدها أن سبب هروبه من المنزل هو تعرضه للضرب من طرفها، أي العقاب الجسدي بوسائل مؤلمة جدا، بالإضافة إلى العقاب المعنوي (التهديد) إذا خالف أوامرها، (إذ في البداية رفض التطرق إلى موضوع الضرب).

إجابات الطفل تحصر إدراكه للعلاقة الجيدة أو المعاملة الحسنة من طرف الأم في الجانب المادي (تشريلي)، لكن كشفت المقابلة على أنه يعاني من فراغ داخلي رهيب، حيث لا يوجد تواصل أو حوار مع الأم، مع غياب الإشراف والتأطير من طرفها، حيث بمجرد نهوض الطفل صباحا يخرج للعب في الشارع هذا الفراغ زاد حدة بدخول الطفل المركز حيث لديه شعور بالوحدة وعدم الشعور بالأمن والحماية، فالطفل كلما تعرض لاعتداء يجد نفسه بحاجة إلى الأم التي تحميه وهذا يترجم تبعيته لها وتعلقه بها.

إن هذه العلاقة الفقيرة من المحتوى العاطفي، أثرت على الحياة النفسية للطفل الذي يعيش حالة حزن لفقدانه الأب والذي يطرح سؤال حول هويته "أبأ لي مات، (بيكي)، بصح ماشفتوش"، كل هذه المعاناة لن تلق علاجا لها سوى تجسيد رغبة الطفل وهي قرار الأم باسترجاعه نهائيا والعيش معها: "حأب نخرج من Centre نروح عند يما". ولهذا المستقبل عند الطفل ليس واضحا تماما، والعزاء الوحيد الذي يخفف من وطأة المعاناة لديه هو الدراسة، وعودة الأم باسترجاعه التي لم تتحقق بعد.

ففي هذه الحالة تتضح كيف أن القسوة في المعاملة، والعقاب والإساءة الجسمية والنفسية وعدم التسامح أمام أخطاء الطفل جعله يعيش في جو مخيف يثير القلق لديه لا يجد حلا لهذه الوضعية سوى الهروب والتشرد، حيث أن الخوف ثم القلق أمام الإساءة يجعلان من الطفل غير قادر على مواجهة الواقع، لأنه حتما سيتلقى الإساءة، ومنه الهروب هو الحل الوحيد أمامه للنجاة، وبالتالي العلاقة واضحة هنا بين أسلوب المعاملة الوالدية القاسية وانحراف الطفل.

حيث تدل عبارات الطفل على ذلك كالاتي: "يضرّبوني، ننتلق، تضرّبني يما، كي نغلط، كرهت كل يوم نهرب جابوني la police تا ع ساحة الشهداء... ما نقدرش نقعد، [نخاف الضرب]، نعم - [كيفاش الضرب؟] بـ Tuyau de gaz".

الحالة الرابعة: تميزت علاقة الطفل مع الأم بالإهمال والإساءة، الحرمان العاطفي والمادي، ورفض طريقة معاملة الأم في شكل عناد ومقاومة.

تبقى الرسالة الضمنية للطفل: هي الحاجة إلى الحب والاحتواء ومعالم ثابتة تسمح بإرساء الهوية وذلك بدون عقاب جسدي أو تهديد.

غياب السند الذي يمنح الثقة في النفس والتفاؤل من خلال (الأب الحامي، والاحتفاظ بموضوع عطف آمن تمثله الأم، جعل الطفل لم يمر بالمراحل التي يجب المرور بها بشكل طبيعي لبناء شخصيته ولم يستطع تحقيق وجوده

الاجتماعي مما جعله ينسحب من الحياة الاجتماعية ويدخل في إطار سلوكيات تدمير الذات (Auto agressivité) من خلال إهمال الدراسة والانخراط في جماعة الرفاق مع سلوكيات ذات هدف استهلاكي تعويضي تأخذ الطابع الفمي (السرقه، التدخين) تضاف إليه الحرمان المادي الذي جعله يمارس بعض المهن كالبيع غير المريح، وما تشرد الطفل مع الرفاق إلا نوع من البحث عن المتعة معهم بعيدا عن بيت لا يجد فيه ما يحتاج من اهتمام، خاصة في غياب السلطة الضابطة.

الحالة الخامسة: كان الطفل منذ بداية المقابلة في وضعية دفاعية ومقاومة بالكاد كان يجيب عن الأسئلة، إجاباته كانت مختصرة وتهدف في أغلبيتها إلى أن تكون مرغوبة، في اعتقاد الطفل حسب ما يجب أن يكون حيث نقل الصورة الإيجابية عن الأم، وعن نفسه، أي أنه لم يقترب فعلا جانحا، لكن رغم المقاومة لم يستطع الطفل إخفاء حقيقة أن ما يعاني منه هو حرمان عاطفي يتجلى من خلال غياب الأم عن حياة الطفل بمعنى غياب الإشراف والرعاية، والتوجيه، فالطفل يترك له زمام أمره طول اليوم في غياب الأم التي تعمل، الأمر الذي يسمح له بالتسكع مع رفاق السوء طوال اليوم، هؤلاء الرفاق الذين اكتسب سلوكياتهم ومن بينها سلوكيات تخريب ممتلكات الآخرين.

ومن خلال إجاباته نجد أن حضور الأم في حياة الطفل حضور واه وفقير، فإشرافها غير مرض ويبقى لفظيا دون تأثير على سلوك الطفل، فالطفل اعتاد على أن تسمح له بفعل ما يريد، (وهذا بالنسبة إليه مؤشر للحب)، وهذا ما يشير إلى أن الطفل لم يستدخل قوانين الأنا الأعلى.

إن الطفل رغم كل شيء يكن الكثير من الحب للأم، ولكن مع عدم وجود بوادر الخروج النهائي من المركز يبقى قلقا أمام احتمال أن لا يلتحق بها نهائيا خاصة وأنه سابقا (أي قبل سنة تقريبا) كانت تسيء معاملته ولا تزوره بانتظام، وبالتالي مستقبل الطفل لديه غير واضح، ومنه نستنتج أن سلوك الطفل ستحدده الظروف أي أن الشيء الوحيد الذي سينقده من الانحراف هو مدى استعداد الأم للتكفل ببنها وإلا هناك مؤشرات قوية تدل على أنه سينحرف فالطفل يعيش قلقا وجوديا أمام المصير المجهول وبما أنه لديه سوابق انحرافية فلهذا الكثير من الحظوظ لينحرف إذا لم يتحقق وعد الأم باسترجاعه عند نجاحه في شهادة التعليم الابتدائي.

الحالة السادسة: إن محتوى المقابلة يشير إلى وجود مشاعر التهديد أمام موضوع التخلي مع الرغبة في العودة إلى أحضان الأم، شرط ضروري بالنسبة للطفل لكي يحيا سعيدا، تقابلها نفس مشاعر القلق أمام الحياة التي يراها الطفل صعبة بالنسبة إليه أمام واقعه الذي يعد قاسيا خاصة جراء الحرمان المادي الذي لا يرى حلا له سوى في الدراسة والعمل "كي نقرا، نكبر، نكون نخدم، ما نضيعش".

فالطفل لديه ميل إلى إعطاء صورة إيجابية ومثالية عن الأم، يتمسك بذكرات جميلة معها، وهذا ما يجعله يتحمل حياة المركز، لكن بالمقابل هذا الوصف الإيجابي لصورة الأم وإن كان يلعب وظيفة دفاعية لدى الطفل نجد أن الانفصال لديه آثاره السلبية التي تعمل على مستوى كامن، جعلت من الانفصال والحرمان العاطفي يؤثران على الحياة النفسية والانفعالية للطفل ليطور تنظيمًا ذهانيا (يتميز سلوك الطفل بالعزلة عن الآخرين في المركز) مقابل شدة المعاناة، خاصة وأنه لديه خوف وقلق في أن لا تسترجعه أمه نهائيا.

الحالة السابعة: يذهب الباحثون في مفهوم التعلق الذي يلعب في تأسيسه الراشد الدور الأساسي حسب ما جاء في: (Attachement, séparation et placement, attachement et accueil familial le lien « famidac.fr » d'attachement de la famille d'accueil à l'enfant، على أنه إذا "أدركه الطفل على أنه شخص محب بالقدر الكافي، ومحل ثقة وكفاءة، فإن الطفل سيدرك نفسه على أنه شخص كفء وجليد

بالحب، إنها فقط العلاقة في الوسط الأمومي المشبعة التي تمكن الطفل من الاحتفاظ بداخله بالتصورات عن هذا الشخص (أي الأم) وبإمكانه الابتعاد عنه بكل أمان عندما يصبح ذلك ضرورياً.

إن ما جاء في هذه الفقرة يتطابق تماماً على علاقة الطفل وأمه في هذه الحالة، أم متشردة مع أبنائها، نقدم الإطار والسند والحب والثقة لأبنائها، إن هذه العلاقة الصادقة المشبعة عاطفياً خفت من حدة الحرمان المادي وحياة الشارع الأم في خضم العراء كانت حضناً آمناً (Une enceinte sécurisante)

فالطفل يعبر بكل ثقة عن حب الأم له، ويبادلها الحب نفسه ولديه الكثير من التعاطف معها، الأم إلى حين وضع ابنها في المركز كانت تقوم بوظائفها كأم، بل كانت تحاول قدر المستطاع منح تعليم لابنها، لهذا فالطفل جعل من علاقته مع الأم المحور الذي يبني عليه مستقبله، يريد استثمار الدراسة لمساعدتها.

إن هذه العلاقة المشبعة جعلت منه قادراً على تحمل حياة المركز، لهذا نقول أن للمعاملة الحسنة، من طرف الأم جعلت منها موضوعاً يمكن تمثله في غيابها لأنها حاضرة بذهن الطفل وجعلت منه طفلاً ناضجاً يعي حقيقة وضعه فهو لا يفكر بالهروب من المركز للالتحاق بالأم لأنه يعلم خطورة ذلك الفعل، وهكذا تمكنت الأم بالفعل من حماية ابنها من الانحراف.

الحالة الثامنة: تتضح صورة الأم التي تقدم قدراً من الحب والحنان والإشراف ولو لم يكن بالشكل المستمر والقدرة الكافي، وهذا يرجع للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها أسرته، لكن بالمقابل تقبل الأم للطفل، على الرغم من أنه ولد نتيجة الاغتصاب وشرحها له سبب وضعه في المركز مع إعطائه وعوداً باسترجاعه يوماً ما (ولو أن هذه الوعود بدت مع الوقت بعيدة التحقيق)، ومنحها الحب للطفل من خلال العبارات والسلوكيات الدالة عليه وحرصها على زيارة ابنها باستمرار جعله يثق بها، فبالنسبة للطفل رغم فقر الإشراف من طرف الأم - وهذا من بين الأسباب التي جعلته عرضة للانحراف ومرافقة الأطفال المنحرفين - فكونها لا تعاقب ولا تسيء للطفل إما معنوياً أو جسدياً وتعبّر له عن حبها لديه القناعة بأنها تحبه، وهذا الحب بالنسبة إليه يغنيه عن ما هو مادي، لكن بالمقابل ما يقال هو أن ظروف الأم الاجتماعية والاقتصادية أثرت على نمط إشرافها على الطفل إلى درجة تركه يعمل لجمع المال.

وما يقال هو أن الأم من حيث وظيفة الوالدية (La parentalité) هناك قدر تم تأمينه من طرفها، بالإضافة إلى أنها ليست موضوعاً مهدداً بل آمناً لدرجة أن الطفل استطاع من خلال ثقته بها تحمل فترة وجوده بالمركز وإلى حد الآن هذه العلاقة سمحت للطفل بأن يكون متكيفاً مع وضعه الراهن، متمسكاً بهذه الصورة المثالية التي منحها للأم وجعل منها سبباً من أجل تحمل المعاناة وهذا أمر طبيعي بالنسبة لسنه والمرحلة النمائية التي يمر بها، وكذلك نعود لنقول نفس الشيء الذي مفاده أن الأطفال الذين ينفصلون عن الوالدين أو أحدهما تكون آليتهم الدفاعية هي منح الصورة المثالية لذلك الأب أو تلك الأم (La force du clivage).

إذ هناك معاناة جراء الانفصال والحرمان العاطفي والشعور بالوحدة، لكن الطفل بفضل تواصل الأم لا يدرك قرار وضعها له في المركز على أنه تخلي بل حل مؤقت أمام وعودها باسترجاعه عند الحصول على بيت، هذا الأمل هو الذي يجعل الطفل متفائلاً بالمستقبل، مادام لم يصل بعد سن الرابعة عشر أين يتم تحويله إلى مركز آخر - للمراهقين - حيث نتوقع أن يأخذ الانفصال عن الأم معنى آخر بالنسبة للطفل يستدعي تدابير للتكفل خاصة بذلك. إذ يتضح من خلال الحالة أنه فعلاً هناك جانب من نفسية الطفل مرتاح لكن هناك جانب آخر يعاني بشكل كامن إلى حين.

الحالة التاسعة: برزت الصورة الوالدية لكلا من الأب والأم على أنهما موضوعان صالحان (الأب والأم مطلقان الأم تعيش حياة انحرافيه والأب شيخ في الثمانين من العمر) فالأب كان دائما متمتعا بالكفاءة وهذا ما جعل الطفل يفهم سبب الانفصال، خاصة مع بوادر الذهاب للعيش مع أهل الأب، حيث أن الأب لم يقصر فيما يخص وظيفة الإشراف ومنح الطفل الحب والتقبل والحماية وعزز ثقته به من خلال التواصل وشرح سبب وضع الطفل في المركز.

وهذا ما جعل الطفل مستقرا نفسيا واجتماعيا ولديه نظرة متفائلة للمستقبل، على الرغم من وجوده في وسط مؤسساتي وهذا ما يدفعنا للقول أن العلاقة العاطفية بين الأب والطفل المشبعة بمعاني الحب والاحتواء من حيث نوعية وكم العلاقة أي علاقة مستقرة ومستمرة مع الزمن منحت الطفل هذا التوازن النفسي ومناخا ضد السقوط في الانحراف فالقدرة على تمثيل الأب وهو بعيد عنه كان السبب في ذلك لأنه كان موضوعا مطمئنا ولهذا تتحقق الفرضية التي مفادها دائما أن للمعاملة الوالدية أثر في انحراف الأبناء، فالمعاملة الحسنة تؤدي إلى التوافق النفسي الاجتماعي وتقي من الانحراف.

3- النتائج ومناقشتها:

يتضح من خلال المقابلة أن جميع الأطفال منحوا الصورة الإيجابية للوالدين (خاصة في بداية المقابلة لكن هناك من قدم بمرور الوقت في المقابلة تصريحات تعبر عن الإساءة الوالدية) إذ تركوا الجانب الذي يعاني من مشاعر الغضب نحوهما كامنا لأنهم لم يصلوا إلى تجاذب وجداني يسمح بحب الولي ونقده في آن واحد ليبقى هذا الجانب يعاني وهذا ما يسمى حسب (Berger 1997) بقوة الانشطار (la force du) وهذا طبعا يتماشى مع الإنكار والفقر في العمل العقلي لديهم، خاصة وأن معظمهم لم تقدم لهم تفسيرات مقنعة عن وضعهم في المركز ولا تتم زيارتهم بانتظام ولم يبنى معهم الأولياء علاقة الثقة من خلال الحوار والإشراف، ولهذا من كل ما سبق عرضه عن الحالات نخلص إلى نتيجة مفادها أن الأطفال الذين عانوا من سوء المعاملة الوالدية لديهم مؤشرات تطوير سلوكيات انحرافية، نقول مؤشرات ولا نجزم بأنهم منحرفون على الرغم مما توفر فيهم من مؤشرات دالة على سلوك الانحراف وذلك لأنهم في مرحلة نمائية لم يكتمل فيها تكوين الشخصية لديهم ولم تتأسس بنية شخصية انحرافية حيث أن التغيير في شروط حياة الطفل وتحسن علاقته مع أهل من شأنه أن ينقذ الأطفال من الانحراف لأن الأطفال لا زالوا يتمتعون بمرونة نفسية تساعدهم على التكيف وبالمقابل نجد أن الأطفال الذين يهربون من المنزل يطالبون بالعودة إليه وعندما يعودون يهربون، مما يثير الدهشة ولهذا نستنتج أن الأطفال لا يهربون من أهل - لأنهم يرفضون القطيعة - ولكن هروبهم هو هروب من الواقع القاسي ونداء ضمني لأهل بالتغيير من طريقة التعامل معهم.

- ولهذا نقول وبالرجوع إلى الحالات (1) (2) (3) (4) (5) (6) أننا أثبتنا الفرضية الأولى التي تقول بأن لأساليب المعاملة الوالدية لدى الأحداث المنحرفين تتميز بكونها أساليب معاملة والدية سيئة.

- كما أن الحالات (7)(8)(9) بينت كيف أن الأطفال الذين لديهم علاقة صحية مع أحد الوالدين - الأم أو الأب - يتمتعون بتوازن نفسي إلى حد كبير مقارنة بغيرهم من أطفال المركز (نقول متزنين نفسيا إلى حد ما لأنهم هم كذلك يعانون من الحياة في وسط مؤسساتي)، لكن ما يجعلهم يتحملون الحياة بالمركز هو علاقة الثقة مع الأولياء الذين شرحوا لهم سبب وضعهم بالمركز ولأنهم لديهم علاقة حب لم تنقطع سواء قبل الدخول إلى المركز أو بعده حيث نجدهم يتكلمون بفرح عن أهل - الأم أو الأب - في انتظار أن تسمح الظروف بالعودة للعيش معهم.

ولهذا نقول بأننا أثبتنا الفرضية الثانية للبحث التي تقول بأن أساليب المعاملة الوالدية الحسنة تقي من انحراف الأحداث.

جدول (1) توضيحي لنقاط التشابه ونقاط الاختلاف في نتائج البحث بين حالات عين البحث

نقاط التشابه في نتائج البحث بين حالات عينة البحث	نقاط الاختلاف في نتائج البحث بين حالات عينة البحث
- جل أطفال العينة من أسر متصدعة - جل أطفال العينة من أسر تعيش وضعية اجتماعية واقتصادية هشة - كل أطفال العينة في خطر معنوي، سواء ارتكبوا سلوكا انحرافيا أم لا (وهذا بالنظر إلى سنهم) - جل أطفال العينة لديهم قلق بسبب العيش في الوسط المؤسساتي - أطفال العينة لديهم تعلق بالأهل على أمل الرجوع إليهم يوما ما.	- تميزت المعاملة الوالدية بالنسبة للأطفال الذين ارتكبوا سلوكا انحرافيا ب: بالنزب والرفض والعقاب المعنوي و الجسدي (ضرب و تهديد)، غياب الإشراف الوالدي، هناك من تم استغلالهم في العمل من أجل كسب المال، غياب التواصل و الحوار وبالتالي عدم بناء الثقة بين الأطفال والأولياء حيث يأخذ سلوك وضع الأهل للطفل في المركز (مع إعطائه أسباب غير حقيقية) معنى التخلي مما يجعل الطفل يفهم أنه مرفوض ومنبوذ من طرف أهله، بالإضافة إلى غياب الحماية والدعم والسند يعزز من مشاعر الخوف والقلق لدى الأطفال ويجعل لديهم تقدير ذات متدنٍ وبالتالي يؤدي إلى مشاكل على مستوى الهوية لديهم ويؤثر على تفكيرهم حيث لديهم فقر في العمل العقلي لا يسمح لهم باستيعاب وضعيتهم الوجودية وفهمها مما يؤثر على استقرارهم النفسي فيكون رد فعلهم اتجاه ذلك بالهروب من المنزل لتفادي العقاب الجسدي والمعنوي (بسبب الخوف ولأنهم يدركون الإساءة على أنها أمر يفوق قدراتهم المعرفية في استيعاب ما يحدث لهم) كما أن أغلبهم قاموا بالفرار أو محاولات فرار من المركز أو يهربون من البيت خلال الزيارة (هروبا من الإساءة الوالدية) - بينما الأطفال الذين لديهم معاملة والدية حسنة فهم أكثر استقرارا نفسيا مقارنة بالفئة المذكورة أعلاه، لديهم شعور تقبل وحب من طرف الأهل الذين يتواصلون معهم بصدق وشرحوا لهم بصدق سبب وضعهم في المركز مما عزز الثقة بين الأطفال وأهلهم وبالتالي فهم لا يفكرون في الهروب من المركز بل ينتظرون في ثقة الوقت الذي يتم استرجاعهم من طرف أهلهم الذين بدورهم يحافظون على مواعيد الزيارة لأبنائهم ويشعرونهم بالأمان والحماية كما لديهم استثمار للمستقبل من خلال الدراسة من أجل تغيير واقعهم ومساندة الأهل

ومن خلال ما سبق عرضه توصلنا إلى أن نتائج البحث الحالي تتفق مع نتائج دراسة "Gluecks" التي ركزت على دور العوامل الأسرية في ظهور الانحراف منها نوعية الحياة الأسرية المتميزة بنمط حياة فوضوي مع غياب النظام وانعدام الإشراف حيث وجدنا في دراستنا تملص الأولياء من متابعة الأبناء أو لعدم وجود أب في الأسرة أو بسبب صعوبة الظروف المادية أو مشاكل صحية، بالإضافة إلى الخصائص السلوكية للوالدين المتميزين بالعنف اتجاه الأبناء، والعلاقات الأسرية الفارغة من المحتوى العاطفي والتواصل الأسري مع اللامبالاة والرفض.

كما تتفق مع دراسة سامبسون ولوب التي خلصت إلى اضطراب سيرورات الأسري وأثر ذلك على سلوك الأبناء مع تأثر هذه السيرورات بالعوامل الاقتصادية، إذ أن أسر عينة البحث تعاني من مشاكل من هذا النوع.

كما نتفق مع دراسة مريس مورا ومحمد أرزقي بركان وبن الشيخ بختي وزينب حميدة بلقادة " في دور التصدع الأسري والعلاقات الأسرية السيئة في ظهور الانحراف واتباع أسلوب القسوة والعقاب في التربية.

ولهذا نخلص لنتيجة مفادها أن انحراف الأحداث هنا ما هو إلا عرض لواقع أسري مؤلم يعيشه الأطفال فيخرجون للشارع من أجل تعويض الحرمان العاطفي والمادي مع أشخاص آخرين وهذا ظنا منهم أنهم سيجدون نماذج صالحة تحويهم فيجدون أنفسهم في حلقة مفرغة وهي الانحراف.

4- الخلاصة:

يقول (07, 1997) Berger أن: " الانفصال صدمة يصعب على نفسية الأطفال دمجها، هؤلاء الأطفال لا يستطيعون تقبله أو إعطائه معنى، وحتى التفسيرات العقلانية التي يرجى غالبا اقتراحها تكون ذات مساعدة ضئيلة لتخفف من معاناتهم النفسية"، ولهذا نقول أن أنجع تكفل يمكن أن يقدم للطفل هو ذلك الذي يسمح له بالاحتفاظ بعلاقة مع الأهل لأن المركز سيؤدي وظيفة مسكن مؤقت للألم ويخفي سبب المشكل الحقيقي سيسمح بتهدئة الوضع مؤقتا إلى حين أن يكبر الطفل ويحول إلى مركز آخر في سن الرابعة عشر فتزداد نفسه امتلاء بالحد والغضب والعداء للمجتمع لتتحدد لديه في الأخير بنية شخصية انحرافية، ولهذا مشكلة انحراف الأحداث تتطلب الكثير من الجهود لفريق متعدد الاختصاصات من أخصائيين نفسيين واجتماعيين ومربين ومعلمين وقضاة وأطباء وسياسيين ورجال دين، على أن نأخذ بعين الاعتبار أن كل حالة فريدة في خصائصها وتحمل معنى خاصا بها يفسر انحرافها على الرغم من التشابه بين الحالات، ولهذا لا بد من الأخذ بعين الاعتبار عند التكفل بأي حالة خصائصها: أي تاريخها والسيرورة التي مرت بها وما هي النقاط الإيجابية التي يمكن استثمارها من أجل مساعدتها.

- الإحالات والمراجع:

- معمرية، بشير (2007). *بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس*. ج 4. الجزائر: منشورات الحبر.
- بوفولة، بوخميس (2010). *الانحراف: مقارنة نفسية واجتماعية*. ط.1. مصر: المكتبة العصرية.
- بوسنة، محمود وكركوش، فتيحة (2008). *هروب الأحداث من البيت: التناولات النظرية والمحددات الأساسية لهذا السلوك*. مجلة معارف سيكولوجية، (1)، الجزائر: مخبر التربية - التكوين - العمل، جامعة الجزائر.
- الداهري، صالح حسن أحمد (2008). *أساسيات التوافق النفسي والاضطرابات السلوكية والانفعالية: الأسس والنظريات*. ط.1. دار الصفاء للنشر والتوزيع.
- سماره، عزيز والنمرو، عصام والحسين، هشام (1999). *سيكولوجية الطفولة*. ط.3. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- عنو، عزيزة (2009). *تحقيق الذات والتوجه الشخصي لدى الأحداث الجانحين*. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، (12)، الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.
- عنو، عزيزة (2011). *أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالاكنتاب لدى الأطفال*. مجلة المرشد، (1)، الجزائر: مخبر القياس والإرشاد النفسي، جامعة الجزائر 2.
- قنطار، فايز (1992). *الأمومة: نمو العلاقة بين الطفل والأم*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- كركوش، فتيحة (2011). *ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- زغير يسين، لمياء (2007). *الثقة بالنفس وعلاقتها بأساليب المعاملة الوالدية لطلبة الجامعة*. مجلة مركز البحوث التربوية والنفسية، (12)، بغداد: الجامعة المستنصرية.
- الناشف، هدى (2007). *الأسرة وتربية الطفل*. ط.1. عمان: دار المسيرة.
- صفوت مختار، وفيق (1999). *مشكلات الأطفال السلوكية*. ط.1. القاهرة: دار العلم والثقافة.
- Berger, M. (1997). *L'enfant et la souffrance de la séparation: Divorce, adoption, placement*: Dunod.
- Borne, M. (2005). *Psychologie de la délinquance*. 2e éd.: De Boeck.
- Debray, R. (2000). *L'examen psychologique de l'enfant à la période de latence (6–12 ans)*: Dunod.
- Pedinielli, J.-L., & Fernandez, L. (2005). *L'observation clinique et l'étude de cas*: Armand Colin.
- Perron, R. (1972). *Les enfants inadaptés*: Presses Universitaires de France.
- Perron-Borelli, M., & Perron, R. (1986). *L'examen psychologique de l'enfant (5e éd.)*: Presses Universitaires de France.
- Reuchlin, M. (1992). *Les méthodes en psychologie (Coll. « Que sais-je ? »)*: Presses Universitaires de France.
- Zonabend, A. (2006). *Les enfants dans le divorce: Comment réagir en tant que parent*: Imprimerie Corlet
- Famidac. (n.d.). *Attachement, séparation et placement: Attachement et accueil familial, le lien d'attachement de la famille d'accueil à l'enfant*. Retrieved from <https://www.famidac.fr>
- Ratnasari, A & Sudrajat ,I (2023). *Case study approach in post-occupancy evaluation research* . ARTRKS : Jurnal Teknik Arsitektur .<https://doi.org/10.30822/arteks.v8i3.2584>

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

نوي، سعاد وتعاونيات، علي (2025). دراسة وصفية لأساليب المعاملة الوالدية لدى الأحداث ذوي السلوك الانحرافي. مجلة العلوم النفسية والتربوية. 11(3)، الجزائر: جامعة الوادي، الجزائر. 88-108.